12 Nov 91
Sadda

عقيل سوار لـ «صدى الأسبوع»:

لست أجرأ الصحفيين ولا صحفيا متمرداً ...!!

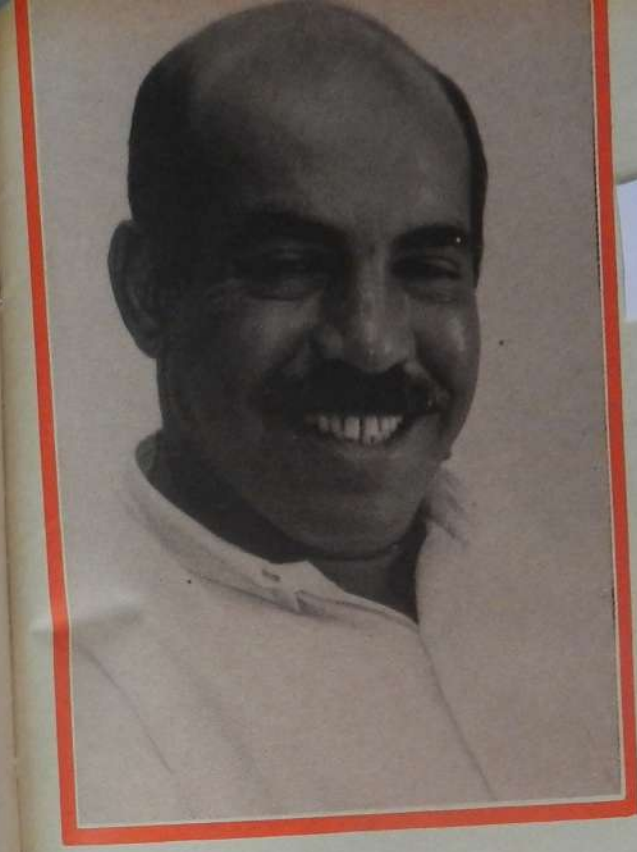

منذ أربع سنوات وأنا اقرأ لعقيل سوار .. ولا يكاد يفوتني ما يكتب .. فأرى فيه القلم «الآخر» ، القلم المختلف في خضم الأقلام السيئة الصيت .. السيئة السمعة .. ثم اكتشفته «عدسة» لا ترحم في تفاصيلها المستفزة ، ومحققاً مرهقاً بسخريةٍ مريرة ، ووجدته في «الشيء» شاهدا من الداخل على تجريد صاحبة الجلالة من جلالها . ثم رأيته في رسالة شهيرة رجلا تاكله الهواجس وتدمي التحولات قلبه .. و.. فجاة رفعه عندي شيطانُ الشعر فوق أسوار الحصار رفعاً .. فرأيته موالا يرسم ملامح سيمفونية لحن غربي ... ورقصة «المللي» و«الغشم» . ولا عجب ..!! «فاللحن غربي ، والهوا غربي ، والمراكب فرّت تفرها ، وخُويَرَتْ غرْبي .. وحتى الغيم غرّبْ ، والبحر والشمس مالت ..» . فماذا بقي ؟ . جواباً في حجم الفاجعة ، سألته عقيلاً ، فكان حواراً بدأ من نقطة البداية .. ولكنه لم ينته .. ولذلك ننشره ناقصاً .. تماماً ..

●●

□ كمال الذيب □

● كنت محتاجاً إلى عمل ينقذني من التسكع فكانت الصحافة !

● الرقابة الاجتماعية أسوأ أشكال الرقابة !

● من يوم دعاني علي سيار للكتابة ، صارت الصحافة قدري المحتوم !

● الكاميرا لا تجامل .. انها تنقل الواقع بوقاحة فذة !

حدثني عقيل - وقد سألت عن البداية - عن قصة دخوله بلاط الصحافة المشبوه دوماً .. حديث المرارة الحقة :

● عندما لفظتني مقاعد الدراسة في اواخر الستينات ، بسبب مراهقة سياسية ، لا ترى من الالوان إلا لوناً لي واخر عليّ ، خطوت الخطوة الأولى في حياتي العملية كموظف في طيران الخليج ، وكانت البحرين ايامها تمور بالاضرابات وحركات الاحتجاج ، وكان العمال والموظفون في طيران الخليج قد دخلوا في اضراب استفز مدير العمل آنذاك ، السيد جواد العريض ، فادلى بتصريح أثار اعصابي في ذلك الوقت ، فتطوعت نيابة عن المضربين لارد عليه عبر مجلة «صدى الأسبوع» ، ردا قاسياً ، وجدت نفسي بعدها افقد بريقي لدى رؤسائي .. ولم يمض وقت طويل حتى وجدت نفسي منبوذاً متسكعاً ..

واثناء تلك الايام السود -والكلام ما زال لعقيل - وجدت الأستاذ علي سيار - الذي يبدو انه اعجب بما كتبت - يدعوني إلى الانضمام لاسرة صدى الاسبوع ، التي كانت تلك الأيام قبلة الأنظار .. فوجدت نفسي انساق وراء تلك الدعوة ، ومن يومها صارت الصحافة قدراً مقدوراً لا اقوى على الفكاك من اسره .

وهل ندم عقيل ، وقد مضى على المغامرة نيف وعشرون سنة ؟ .

قالها قبل أن أكمل بقية السؤال :

● ابداً .. لعله قدري المرّ .. لقد كنت محتاجاً إلى أي عمل ينقذني من «التسكع» ، فكانت الصحافة باباً ، وأيُّ باب !.

دخلتها في البداية عبر الكاميرا ، التصوير الفوتغرافي الذي كان يشدني اكثر من الكتابة ، ثم جاءت الكتابة فيما بعد .. فالصورة اصل عندي ، والكتابة لاحقة .

قلت مستوقفا :

وهل تخليت الآن عن الكاميرا ، أو للقلم ، أيهما أفضل عندك كصحفي ، الصورة أم الحرف ؟ .

● لا .. لا يمكنني ان اتخلى عن الصورة .. والعمل الصحفي كل «من صورة وكلمة ، ولكن المشكلة ، ان الكاميرا لا تجامل ولا تهادن ، فهي مباشرة «مزعجة» ، بعكس اللغة التي تمكنك استعاراتها وكناياتها من توصيل الفكرة ، بالتورية ، والتخفيف .

ويضيف ممثلا : الكاميرا ترسم صورة الفقر ، العيوب والمحاسن والعاهات ، كما هي - مهما تدخل المصور في عملها - تنقلها بحرفيتها «الوقحة» احيانا كثيرة ... وهي بهذا المعنى لا ترحم .. لذلك فإن حملك للكاميرا في حدّ ذاته مصدر للشبهة .. فحامل الكاميرا غالبا ما يكون «متهما» بسوء النية ، وسوء المقصد ، باي معنى من المعاني .. قد يوقفك شرطي .. قد يحقق معك .. قد يوجه لك تهمة !.. قد تنتزع منك الكاميرا ..

قلت معلقا : وهل يعني هذا انك تخليت عنها نهائيا ؟ .

● اما التخلي فلا .. فقط انحسر مداها .. وتحولت إلى عمل ذاتي خاص .. هوايتي ظلت دائما قائمة .. وكون خطوط الصحافة المطبوعة لا تتسع «لوقاحتها» ، لا تعني انني تخليت عن التصوير .. بل إنها ما زالت اطور خبراتي وانمي تجربتي معها بشكل دائب .. لان الهوايات الاصيلة لا تموت هكذا .

وأيهما اكثر أصالة في ذاتك الابداعية ، الكلمة المكتوبة ، أم الصورة الحية ؟ .

● يصعب الاجابة عن هذا السؤال بالمعنى الحرفي للاجابة ، لان المسالة مركبة وليست مجزأة ، واعني بذلك ان المسالة الابداعية كل لا يتجزأ .. الهم الابداعي واحد ، وسبل البوح عنه متعددة ومختلفة من واحد إلى اخر .. قد يعبر الواحد شعرا وتبوح النفس رسما او صورة او كاريكاتيرا او كتابة قصصية أو صحفية وغيرها .. وانا شخصيا اجد نفسي في الكتابة كما في الصورة ولكن ربما تكون الصورة إلى نفسي الصق .

والصورة في الوطن العربي بعامة - والاستطراد لعقيل - تنعى حظها .. لانها محاصرة ومطاردة للاعتبارات التي ذكرت .. وبهذا المعنى استطيع ان ازعم بان لدي شيئا متميزا في هذا المجال .. تجربتي متفردة إلى حدّ ما .

قلت : ... وهل علمتك الكاميرا شيئا ؟! .

● عدسة عقيل سوار ●

● ما تعلمت شيئا كبيرا على الصعيد الموضوعي بقدر ما تعلمت الكثير حول المسالة الخلقية .. العادات السلوكية .. لقد اصبحت دقيقا جداً .. فالتصوير الفوتغرافي نظام قائم على الأبعاد والقياسات والدقة المتناهية .. وانا ازعم بانني ، في البحرين من الاوائل ، الذين تعلموا التصوير على اصوله - بالرغم من انني لم ادخل مدرسة متخصصة - وبت اعلم بان المرحلة الاهم من عمل المصور ، تبدأ في المعمل ، حيث تتحكم في المنتوج النهائي للصورة ، عبر المواد الكيماوية ، واللمسات الخاصة .. وهنا يكمن الفرق بين المصور الموهوب والمصور العادي ... والسر الذي لا يعرفه الكثيرون ان التحكم في الصورة النهائية ، لا يكون عبر الكاميرا ، وإنما في المختبر .

وانا ، التصوير عندي إعادة إنتاج ، بمعنى انني اتدخل في بناء الصورة وخلفيتها ، كانما اريدها ان تكون بشكل معين انطبع في ذهني او في خيالي ، وهذا ما يعيبه عليّ الكثير من الأصدقاء .

قلت معقبا : إذن التصوير عمل ذاتي ، أي هو قراءة تتدخل فيها نفوسنا وايديولوجيتنا ..!!.

● تماما .. الابداع ذاتي وقراءة الابداع ايضا كذلك ، فانا عندما يستثيرني مشهد المتسول في السوق ، واريد تصويره ، تجدني في حالة من التوتر .. لانني رسمت له في ذهني صورة وخلفية قد لا تتفق وذلك الوضع المكاني والضوئي ، ولذلك تجدني انتظره الساعات الطوال حتى ينتقل إلى مكان ثان (امام بنك مثلا) ، او اعطيه ٥٠٠ فلسا واطلب منه الانتقال إلى المكان الذي اريده ، وهذا ما يُعاب عليّ في الغالب ، ولكنني مصرّ على ان تكون الصورة كما اريد .

سألت عقيلا : لما كان انتاجك الفوتوغرافي غزيرا ، ومشهوداً له بالتميز فلماذا لم تنشره في كتاب ، او تعرضه في معرض ، حتى تتمكن الساحة الثقافية والجمهور من اكتشاف هذا العالم الغني المتميز ؟ .

ردّ فيما يوحي بانه لا مبالاة ظاهرة :

● لست متحمسا لذلك ولم اتحمس له في اي لحظة من اللحظات ، وحتى ما نشر لي لم يكن على نفقتي وإنما كان بمبادرة اطراف اخرى .. وفضلا عن ذلك انا اؤمن بانه لا يستحق النشر إلا

19 Nov 91
Sadda

عقيل سوار لـ «صدى الأسبوع» :

كمال الذيب

وما زال حديثنا مع عقيل يضعنا على حافة الصراطين ، المستقيم وغير المستقيم ... بين المسموح به والمستحيل نشراً . فمررنا بقصة الحرب التي ولهت الألباب زمنا وهزيمة السبع والستين ، التي أذهبت العقول وما قتلت ، ووصلنا الى حكاية الشعر الذي ظهر شيطانه فجاة ... والى عوالم أخرى ، يتحاك فيها الصراطان دوماً .

الموال ، محاولة لفك حصار الكتابة !!

حرب الخليج كانت خطأ نعيه ولا نريده ولكنه مفروض علينا !

قلت : استكمالاً لحديث الجراة الصحفية ، وهل يعتبر عقيل نفسه صحفيا متمرداً ؟

بعد تردد واضح جاءني رده متردداً ايضا

● هذا السؤال لم افكر فيه من قبل ، او ربما ليس لدي اجابة له جاهزة .. ولكن دعني اقول لك بانني شخص غير راض .. لا ترضيني كثير من الاوضاع ، وكثير من الممارسات ، ولست راض على نفسي وربما حتى على جزء مما اكتب ! انني ابحث باستمرار عن الافضل ، عن المثال ، عن الكل .. وهذا هو سر عدم رضاي الذي قد يبدو للبعض تمرداً !!

قلت محاولا الخروج من دائرة حديث الذات الى حديث الهم الحضاري

● **كيف عاش عقيل عاصفة الصحراء ؟**

لقد كان حدثاً مرا .. كانت تقتلني الهواجس وتدمي قلبي الاحداث يوما بيوم .. ولكن الطريف ان الصورة كانت واضحة في ذهني .. وكنت اتوقع كل يوم ما الذي سيحدث في اليوم التالي ، وكنت اتحدث مع الزملاء والاصدقاء واقول سوف يحدث كذا وكذا .. ولم يكن ذلك نبوءة وانما لان الصورة كانت واضحة وخطوات السيناريو محكمة البناء والحلقات مترابطة .

فتحي عبدالعزيز موجها السؤال لعقيل

● **اذكر انك كنت منحازا الى العراق في حربه مع ايران وانك كنت من اكبر المدافعين عن العراق . وبهذا المعنى تكون ضمن الذين انخدعوا بصدام حسين ؟**

يقول عقيل دون تردد

نعم لقد وقفت الى جانب العراق لا الى جانب النظام ، عندما كان يقف في وجه الظلامية الهمجية ولم اكن انا الوحيد ، بل الاف المثقفين ، ودول وحكومات عربية .. وذلك لقناعات راسخة بان العراق لو كان انهزم وقتها لكانت ملامح الخليج قد تغيرت بشكل مظلم .. هذا ما كنت وما زلت اعتقده . ولكن - وهذا اكيد - لم انخدع ابدا في صدام حسين ، ويمكن العودة الى ما كتبت ، انني لم اذكر صداماً ولو لمرة واحدة .

ويضيف : إن كان صدام قد استغل الحرب لبناء مجده الشخصي وتوسيع جبروته وحكمه المطلق فذلك امر اخر ، ولكنه لا يغير من طبيعة الحرب شيئاً .

وللمقارنة .. قلت لقد عشت حرب ١٩٦٧ والنكبة المظلمة ، وعشت عاصفة الصحراء في ١٩٩١ .. فهل هناك وجه للمقارنة على اي مستوى ؟

الذي حدث في ١٩٦٧ ، كان عملاً مشتركاً .. كلنا شاركنا في الهزيمة بشكل او باخر .. لقد كنا جميعا مع عبدالناصر ، ووراءه .. كان الخطا مشتركا إذن ولذلك تحملنا الهزيمة وتجاوزناها .. ربما لم تكن واعين تمام الوعي في ذلك الوقت بعدد من الحقائق ، قيادة وشعباً .. لم نكن نقدر العدو حق قدره ، ولم نكن نقدر قوتنا التقدير الصحيح ، ولم نكن نعي حقيقة المشهد الدولي انذاك .

ولكن الذي حدث امر مختلف تماماً ، لقد حدث غصباً عنا ، دون ارادتنا ، دون مشاركتنا ، وحدث ونحن نعي كل شيء ، نعي الأخطاء والأهداف والخلفيات ، ولكننا لا نستطيع ان نفعل شيئاً معيناً .

ويلخص : في ١٩٦٧ لم نكن نعي الخطأ ووقفنا وراءه ودفعنا ثمنه ، واليوم نحن نعي الخطا ولم نقف وراءه ودفعنا ايضا ثمنه باهظاً .. وذلك وجه النكبة .

قلت لعقيل وقد اثقله حديث الهزائم : دعنا نمر الى حكاية هذا الشعر ، وهذا الموال الجديد ، كيف ظهر شيطانه فجاة ؟ اليس من واقع الحصار وُلد ؟ ام ان تقدير خاطىء ؟

على الصعيد الابداعي اولا ، لم يكن هناك تحول جوهري في الكتابة . فانا عندما بادرت بكتابة الموال كنت وما زلت مترددا لانني لا اطرح نفسي كشاعر ، ولا اعتبر نفسي شاعرا اصلاً .. وانما هي رغبة ، تجربة اردت ان اخوضها بالرغم من وعيي الشديد بنقائصها الكثيرة ، وبالرغم من انني ضد الكتابة باللهجة العامية .

المهم انها تجربة جديدة ، قد اواصل فيها وقد اتوقف عنها سريعاً .. من البداية لم اكن اتخيل انني سأكون قادرا على كتابة الموال مرتين او ٣ مرات في الاسبوع .. ولكنني اشعر الآن بانني بدات اخطو خطوات بسيطة ولكنها ثابتة نحو هذا النوع من الكتابة ، خاصة ان حسي الشعبي ثري وثقافتي الشعبية لا بأس بها .

اما عن الشطر الثاني من السؤال وهو ما يتعلق بالحصار ، فانني اوافق تماما .. فالكتابة الحرفية الصريحة التامة لم تعد ممكنة تمام الامكان . فالحد الأدنى الذي تكتبه الآن من الناحية الفكرية والثقافية هو الحد الأقصى المسموح به الآن ايضا .. ولذلك جاءت الحاجة الى ادوات تعبير جديدة أقدر على التجاوز واليوح بالرمز والصورة والتشكيل الشعري .

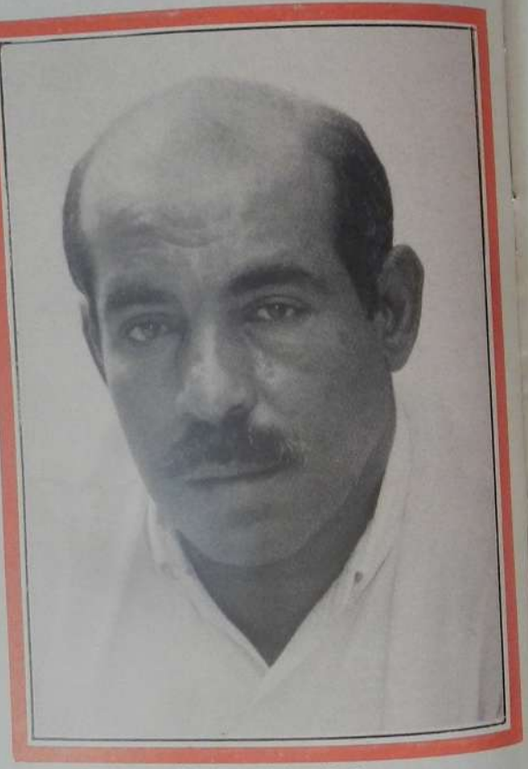

● عقيل .. لا العب على الرقابة ●

قلت : وهل هو هروب من الحصار ؟

كلمة واحدة قالها جواباً : اعتقد ذلك !!

إذن هل الموال هو الشكل الفني الأنسب ، الذي وصلت اليه في هذه المرحلة ؟

لا ابدا .. أظن أن المسالة مرحلية .. ولكنني اتمنى لو انني استطيع ان اتقن الموال .. خاصة انه الأصعب من بين الأشكال التعبيرية .

قلت لعقيل : دعنا نقرا واحدا من بين هذه المواويل ، ولعله افضلها عندي :

غدا ٢٣ يوليو .. ونتذكر الزعيم الخالد جمال عبدالناصر

دنيه .. خمبكه

دنيته صارت (بوخالد) خميكه
ف خميكه[١]
الكل حامل بيديه طارته ودنيكه[١]
العويه ركصت والجسيحه والغشم
ما بكه[٢]
حتى الملالي اجعلت لك ، فالنحن
غربي[٤]
لو لا الملامه ، نفرها ، فالهوا
غربي[٥]
فرت مراكب نفرها وخويرت
الغيم غرب والبحر والشمس مالت
فشبكه[٧]

(١) دنيته : دنيانا ● خميكه : فوضى
(٢) بيديه : بيديه ● طارته ودنيكه : طاره وطيلته .
(٣) العويه : العوجة ● الجسيحة : الكسيحة ● الغشم : جمع غشيم .
(٤) اجعلت : حركت راسها طربا .
(٥) نفرها : ترقص ارداقها .
(٦) نفرها : مؤخرتها ● خويرت : استسلمت للريح .
(٧) فشبكه : فماذا بقي ؟

هذا الموال ، اليس مقالاً سياسياً ؟ اليس مرثية سياسية ؟

هو كذلك ، إنه صورة «لدنيتنا» العربية الجديدة .

قلت : الا يبدو ذلك تحايلاً من اجل الخروج من حصار الكلمة المباشرة ؟

رد بانفعال

بالعكس تماماً .. انا لا احاول ان العب على الكلمة ، لانني غير ملزم بالكتابة عن الأوضاع كلها . ولا يوجد شيء مفروض عليّ . بامكاني ان اكتب في اي شيء اريد ، ولكنني اكتب من واقع الصدق دائما والالم غالباً .

قلت معلقا على الموال وهذه الرسوم التي ترافق مواويلك من يرسمها ؟

هو شاب بحريني خجول لا يريد كتابة اسمه على الرسوم ، وهو حسين احمد .. واغلب هذه الرسوم تعجبني ومقتنع بها شخصيا إلا ان صاحبها يريد أن يظل مجهولاً .

●●

في خاتمة الحديث استدرجنا عقيلا ليحدثنا عن استاذه القديم علي سيار ، بصراحة ، كما يراه عقيل سوار ؟

على كتّاب صحفي لا يوجد من يضاهيه في البحرين ، فاخلاقه وسلوكه مناسبان للعمل الصحفي ، فهو حين يكتب لا يفكر في حسابات الربح والخسارة ومستعد ليفقد كل شيء ، وللتضحية بكل شيء من أجل نشر موضوع مقتنع به . وهذه الصفة نادرة جدا .

وانا شخصيا - والكلام ما زال لعقيل - مدين لعلي بكل معارفي الأولية في الصحافة . فهو الذي تحمل عوجتي ورعاني أيام الصعلكة والمراهقة السياسية . والاهم من كل ذلك هو الذي زرع في البذرة الصحفية .

ولكنني مع ذلك أظل اختلف مع علي سيار وباستمرار على طريقة تعامله الاداري . فاداريا هو فاشل .. وربما هذا يعود الى كونه صحفيا اصيلا . والصحفي بهذا المعنى لا يكون إداريا . وانا اظن ان هذا هو السبب الرئيسي للخيبات التي اصيبت بها صدى الاسبوع باستمرار .. وعدم قدرتها على الانطلاق بالرغم من وجود مقومات كثيرة تؤهلها للنجاح المؤكد .

ولو قدر لهذه المجلة - التي ما زلت احبها - ان تعيش بالجانب الايجابي من علي سيار ، وهو الجانب الصحفي ، فستظل متميزة وستقفز الى الأمام قفزاً .

وما هو الجانب الايجابي ؟

ما سمعت قط مثلا بان رئيس التحرير يتدخل تدخلا ايجابيا في انتاج الصحيفة اخراجاً وسادة وتصحيحاً ، إلا علي سيار . هذا الرجل يساهم في التحرير بشكل كامل . ويقوم احيانا بمهمات الدسك ، واخرى يهتم بالتصحيح ، وثانية يساهم في أفكار التحقيقات والتحاليل السياسية

وانا عندما كنت اعمل مع علي سيار لم يكن بامكاني ان اسف او اتراخى - وتعرف ان الكاتب يتعب احيانا ويمل - لانني كنت اشعر بان علي سيار وراني باستمرار

ويضيف ضاحكا : واظنكم تعانون من نفس الظاهرة الى الآن !!

قلت منهيا الحديث

● **وحافظ الشيخ ، كيف تراه ؟ اليس قريبا منك ؟**

حافظ رجل له خصوصية رائعة ومتميزة . وانا مؤمن بخصوصية الخصوصية ، وحافظ تحت لنفسه هذه الخصوصية باسلوب قد لا استسيغه وقد اختلف معه ، لانني لا احب التعقيد ، والتانق اللغوي ، ولكنني - بالرغم من الاختلاف الفكري مع حافظ - اظل احترمه كإنسان وككاتب لانه انسان صادق ونظيف وعزيز الثقافة ، واستطيع ان اقول بانه من الاقلام النادرة على مستوى الوطن العربي .

ويختتم حديثه والطريف انني وحافظ اصدقاء . والطريف ايضا ان بيننا خلافات فكرية كبيرة جدا ، وتتصارع عندما نتحاور ، ولكن يظل الحب دائما قائما بيننا